

الأدب الإسلامي المقارن

للدكتور / الطاهر أحمد مكي

عرض / د. سمير عبد الحميد إبراهيم

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن» للدكتور / الطاهر أحمد مكي عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة.

عرض المؤلف مفهوم الأدب المقارن، الذي يعنيه في دراسته، فذكر أن من الخطأ في مفهوم الأدب المقارن أن نفهم من الأدب الإسلامي ما كتبه عرب حول قضايا إسلامية، وإنما هو الذي أبدعه مسلمون أيًا كانوا، وأيًا كانت لغتهم، فقد وحد الإسلام بين قلوبهم، وأقام فيهم رابطة فكرية قوية، أقوى من أية رابطة أخرى، وأذاب قدرًا من التباين الفكري الذي يباعد بين الجماعات، ووحد مصادرهم الثقافية، وبالتالي فإن رد أفعالهم تجاه مشكلات الحياة يجيء متقاربًا إن لم يكن واحدًا.

وهكذا تناول الدكتور الطاهر أحمد مكي الأدب العربي، وذكر أنه يعني به كل ما كتب في اللغة العربية على أي أرض، ومهما كانت جنسية كاتبه، ثم تناول بعد ذلك الأدب الفارسي، والأدب التركي، والأدب الأوربي، والأدب الإفريقي (السواحلي، والهوسا)، والأدب الأندونيسي، والأدب الألباني... ثم ناقش الموروث الديني المشترك، وأوضح الأخذ والعطاء بين الآداب، ثم المأثورات الشعبية، ونماذج منها في آداب الشعوب الإسلامية المختلفة، وجعل منها أمثلة لنقط التلاقى بين آداب هذه الشعوب، ذات اللغات المختلفة، تصلح مجالاً للأدب المقارن.

ولس المؤلف نقطة حساسة لدينا جميعاً حين قال: «أما شعوب العالم الإسلامي فمعرفتنا بها لا شيء، وأما آدابها فلا نعرف منها إلا قشوراً...».

كبيرة، مكتوب عليها بخط جميل... الدكتور هدى علي... ومن يدري... ربما يحالفني الحظ فأصبح أستاذة بكلية الطب... لا شيء مستحيل... وأنت تعرف ابتك... ذكاء وإرادة صارمة... وإن شاء الله سأخصص في طب الأطفال... ما رأيك يا أبي؟... أليس أفضل تخصص للمرأة كطبيبة؟... سأثبت أن تفوق الرجال على النساء في مهنة الطب خرافة أطلقها رجل.

فجأة... أتقادت في خياله ذكرى اليوم المشؤوم.

هدى في عيادة الطبيب... تتلوى من شدة الألم.

- لا بد من عملية عاجلة.

صاح هو في دهشة بالغة...

- عملية؟!... هكذا فجأة؟!!

ويرد الطبيب في هدوء وثقة:

- لا تخف... إنها الزائدة.

وكانت المأساة... وقعت الفاجعة... يا لهول ما جرى...

الأمل الوحيد في دنياه الكالحة... الشباب والحيوية جسد ملفوف... جثة هامدة.

أمها تصرخ مفجوعة مولولة... وهو في ذهول... مذعور لا ينطق، فقد أخرسته المفاجأة.

وفي المقابر - قبل دفنها - أمها تصرخ في جنون... دعوني...

دعوني أدفن معها... من لي بعدها... أما هو فقد ألقى نفسه في حضن شقيقه باكيةً مهدهماً.

- لا بد أن تذهب يا حاج.

قالتها في إصرار.

أفاق هو من جحيم ذكرياته.

غاصت عيناه في وجهها الذابل.

هو أيضاً توججه الرغبة العارمة نفسها... أن يعرف ما انتهى إليه نبوغها.

صاحت من بين دموعها...

- ماذا قلت يا حاج؟!!

تأوه قائلاً:

- سأذهب يا حاجة... طبعاً سأذهب.

وقام من مكانه في إعياء... ثم بعيداً عن عينيها أطلق

العنان لدموعه الحبيسة والبكاء المكتوم في داخله، وهو

يدعو الله أن يلهمه الصبر.

ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا لأكثر من مجلد، وهي ترجمة مصحوبة بدراسة قيمة، وتعليقات مفيدة، وفي الأدب التركي لم تقع يده على الكتاب القيم لمحمد هريدي بعنوان (الأدب التركي الإسلامي)، كما رجع إلى القليل مما كتبه د. حسين نجيب المصري، والدكتور المصري له دراسات قيمة في الأدب الإسلامي المقارن، طبعت في مصر، وتخدم موضوع الكتاب إلى أقصى حد، كما رجع إلى ما كتبه د. محمد سعيد جمال الدين في الأدب المقارن، دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ودراسات في تاريخ المغول، ولكن د. مكي أشار إلى مؤلف آخر وهو رسالة الخلود «جاويد خان» التي درسها د. محمد سعيد جمال الدين وقام بترجمتها للعربية أيضاً (ص ٣٧٢).

مقارنة أدبية:

وراح د. مكي يتحدث عن رسالة الخلود لإقبال، ويقارن بينها وبين ما جاء في الأدب العربي، ويعدّها من الأدب الأردّي، والحقيقة خلاف ذلك، فرسالة الخلود أو جاويد نامه التي ترجمها أيضاً د. حسين مجيب المصري، هي من الأدب الفارسي، ومحمد إقبال كتب شعراً بالفارسية وشعراً بالأردية، ويبدو أن المصادر لم تسعف أستاذنا الدكتور مكي ليقف على هذه الحقيقة، وقد كتب د. عزام عن إقبال ومؤلفاته، وكتابه مطبوع في القاهرة، وجدير بأن يعاد نشره مرة أخرى.

وأتمنى أن يهتم أستاذنا في الطبعة الثانية بالأدب العربي في شبه القارة الهندية الباكستانية، وأن يلفت إليه أنظار المهتمين بدراسة الأدب العربي، ويقوم الآن أحد أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهو الدكتور محمد ابن عبدالرحمن الربيع بدراسة أدب المهجر الشرقي، الأدب العربي في الهند وفي ماليزيا واندونيسيا وغيرها، وسيصدر بحثه قريباً، كما أتمنى أن يهتم أستاذنا بالأجزاء التي صدرت ضمن سلسلة آداب الشعوب الإسلامية هنا في الرياض عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن خطة تنفذها عمادة البحث العلمي بالجامعة منذ أكثر من عشر سنوات، وقد صدر المجلد الأول بعنوان «الأدب التركي الإسلامي» للدكتور



د. الطاهر مكي



غلاف الكتاب

ثم يعترف المؤلف الفاضل أنه لم يكن يدرك أن الآداب الإسلامية تنطوي على كل هذا القدر من الرونق والبهاء، ومن التشابه في الظواهر، وتقارب الحركات، والأخذ والعطاء فيما بينها، ظاهراً أحياناً وخفياً في كثير من الأحيان.. . وحقاً كانت محاولة الدكتور مكي المحاولة الأولى التي لم تسبق على النحو الذي جاءت فيه، وكان مُحققاً حين ذكر أنه بحاجة إلى فريق أو مؤسسة تضطلع بهذا العمل الملح والضروري، وبارك الله في حركة الدكتور مكي؛ لأنه أضاء مشعلاً في سرداب مظلم، ليدخل فيه كل من يريد كشف كنوز الأدب الإسلامي.

والنقطة الحساسة الثانية التي لمسها المؤلف كانت في كشفه للتمييز الظاهر في المصادر الأجنبية على اختلافها، إذ أهملت هذه المصادر أدباء المسلمين كلية، أو مرت بهم مروراً سريعاً، على حين ركزت على أدباء غير مسلمين، كتبوا أدباً بلغة هذا البلد المسلم، واهتموا بهم اهتماماً لا يستحقونه.

وينوي المؤلف أن يقدم عملاً آخر موازياً لعمله هذا، يتضمن نصوصاً أدبية مختلفة، مترجمة إلى العربية، وإلى كل لغات العالم الإسلامي، كما ينوي أن يضيف ويعدل في الطبعات القادمة إن شاء الله.

مصدر إسلامي:

ولعل أستاذنا الدكتور مكي اكتفى أثناء كتابة هذا «المصدر» الرائع من مصادر الأدب الإسلامي، بالمراجع والمصادر التي تيسرت له في القاهرة، وبخاصة العربية منها، أو بعضها، فقد رجع مثلاً إلى (جلال الدين الرومي: المثنوي المجلد الأول ترجمة كفا في طبعة بيروت ١٩٦٦م)، وترك

أغنية في زمن الانكسار

شعر: د. مأمون فريز جرار*

أيا زمن الموت والاندثار
ويا زمن الانكسار
تمرّس تاريخنا بالبلايا
ولكننا بعد كل انهيار
نشق الظلام ببركان نار
أذكر يوم أسال الفرنجة في حرم القدس أنهار دم
وطاف على شرقنا المبتلى غيوم الألم
وكانت سيوف بني الشرق مغروزة في القلوب
وداحس سباحة في دمانا
وفي لحنا ذكريات البسوس؟
ولكننا من رماد الهزيمة نصنع معراجنا
وفي أنهر الدم نغسل عصر الذنوب
ونغرق شمس الغروب
وفي حلقة الليل تولد أعمارنا
وينهض فجر جديد
أيا زمن الموت والاندثار
ويا زمن الانكسار
تمرّس تاريخنا بالبلايا
ولكننا بعد كل انهيار

* شاعر وناقد أردني، له عدة دواوين منها: (القدس تصرخ)، (قصائد للفجر الآتي)، وهو رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن.

الأدب الإسلامي المقارن

محمد هريدي، والمجلد الثاني عن «الأدب الأردني الإسلامي» للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ويصدر خلال أشهر المجلد الثالث «الأدب الأفغاني الإسلامي» (البشتو) للدكتور أمان الله صافي، وكذلك «الأدب الأندونيسي الإسلامي»، و«أدب الهوسا»... وهكذا.

وقد جاء مخطط هذا المشروع في محاضرة ألقاها الدكتور محمد الربيع عميد البحث العلمي الأسبق بعنوان: «من آداب الشعوب الإسلامية»، وطبعت المحاضرة هذا العام وصدرت عن نادي القصيم الأدبي، ورغم صفحات الكتاب القليلة (مائة صفحة)، فإنه يلقي الضوء على فكرة آداب الشعوب الإسلامية، المصطلح، مصادر البحث، الأدب الفارسي، التركي، الأردني، السواحلي، الأندونيسي، مع نماذج مختارة من كل أدب، بالإضافة إلى إحالات وهوامش مهمة، ثم قائمة ببيوجرافية تضمنت معظم ما كتب بالعربية عن موضوعات تهتم كل من يبحث في موضوع الأدب الإسلامي، والأدب الإسلامي المقارن.

كما أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية تهتم هذه الأيام بترجمة نصوص إبداعية من آداب الشعوب الإسلامية: من العربية إلى الأردية أو التركية أو غيرها والعكس، وتصدر مجلات فصلية باللغات المختلفة تعنى بالأدب الإسلامي، كما تصدر الرابطة بعض الكتب الأدبية في المجال نفسه. وقد أعلنت عن مسابقة أدبية في مجال ترجمة النصوص الإبداعية لآداب الشعوب الإسلامية.

كل هذا يضع أمام أستاذنا في المستقبل نماذج مترجمة إلى العربية من آداب الشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية: شعراً ونثراً، قصة ورواية، وما إلى ذلك من فنون الأدب وأنماطه.

وأستاذنا من موقعه يستطيع أن يبحث القائمين على الدراسات العليا في أقسام الدراسات الشرقية واللغات والترجمة ليوجهوا طلاب الماجستير والدكتوراه إلى الاهتمام بترجمة نماذج أدبية ودراساتها كل في تخصصه تخدم الهدف الذي أعلن عنه في مقدمة كتابه الرائع.

نشقُ الظلامَ بركان نارٍ

أتذكرُ يومَ أسالَ الفرنجةُ في حرمِ القدس أنهارَ دمٍ

وطافَ على شرقنا المبتلى غيومُ الألمِ

وكانت سيوفُ بني الشرقِ مغروزةً في القلوبِ

وداحسُ سباحةً في دماناً

وفي لحمننا ذكرياتُ البسوسِ؟

ولكننا من رمادِ الهزيمة نصنعُ معراجنا

وفي أنهرِ الدمِ نغسلُ عصرَ الذنوبِ

ونغرقُ شمسَ الغروبِ

وفي حلقةِ الليلِ تولدُ أعمارنا

وينهضُ فجرٌ جديدٌ

نغني لمجدك يا سيفَ زنكي ..

وإن غاله عبدكُ القرمطي

ففي حلب كان ميعادُ حلمك يقتلهُ الأشقياءُ

ويحملُ محمودُ .. سيفك ينهضُ عبرَ

دمشق إلى بابِ مصرَ

يلبي النداءَ

يشقُ الطريقَ إلى حرمِ القدسِ بحسبِ من

دمننا ذكرياتِ الهزيمةِ

يخطُّ على المنبرِ الوعدَ :

إنّا إلى قدسنا قادمونُ

وإن طال دربُ

فها منبرُ الوعدِ في كلِّ معركةٍ يتقدّمُ نحوك عمرا

ويولدُ في الزمنِ الصعبِ .. يوسفُ ..

يولدُ فجر .. صلاح ..

لنا موعدُ فيك يا سهلَ حطينَ

يا «عينَ جالوت» ميعادنا يتجددُ في كلِّ عصرٍ

ويا سورَ «عكا» على قدميك تكسرُ موجُ الغزاةِ

ويولدُ فجرك يا «قدس» .. يرحلُ ليلُ البغاةِ

وينحسرُ الليلُ والحقْدُ عن صخرةِ «القدس»

.. يغسلُها الطيبونُ!

سنون .. سنون

مضت يخنقُ الكفرُ فيك الضياءَ

فيا شوقنا للقاءَ

ويا شوقنا للبكاءَ

ويا شوقنا للفداءَ

نغذُ الخطي نحو سورك يا قدسُ

يجبسُها الوهنُ حيناً

ويغتالها الليلُ حيناً

ولكننا قادمون

وإن طال دهرٌ .. ومرّت سنون

فيا زمنَ الانكسارِ

ويا زمنَ الوهنِ والانهيارِ

تمرّسَ تاريخُنا بالفرنجةِ وارتدَّ سيلُ التّارِ

فمهما يكن من دمارٍ

ستورقُ أشجارنا

تبرعمُ أغصاننا بالنهارِ .

* * *